الطيار الأميركي

بقلم بيتر فايس

ها نحن نجلس الان في غرفة منيرة مريحة . وفي الخارج خضرة الحديقة الكثيفة وهدير زيزان الحصاد . اعدت لـه طاولة صغيرة وكرسي خشبي وعلى الطاولة علبة سجائر ومنفضة .

وصلت سيارة الجيب العسكرية ودخل جندي من جيش الميليشيا الشعبية ليعلم ضابط الاتصال عن وصول الاسير .

ها هم يدخلونه فيقف للحظة في الباب امام الممر المعتم . وننهض نحن فيبدو لنا عملاقا ضخما الى جانب الجندي المرافق . انه شاحب اللون ونظرته تتنقل بسرعة هنا وهناك بغير اطمئنان . يرتدي بيجاما زهرية اللون فضفاضة اطرافها حمراء غامقة ، وعلى الطرف الايمن للقميص وعلى يسار البنطال طبع بحروف كبيرة : رقم الاسير ت و٢ ـ ٢٩١ . ينحني ثم يطلب اليه ان يأخذ مكانه . يجلس باعتدال . يداه ترتجفان يكاد لا يستطيع الامساك بالسيجارة التي قدمت لـه . يسحب على سيجارته ويعد بضعة انفاس تنطفيء السيجارة فنساعده على اشعالها مرة اخرى .

رغم انه منذ اكثر من عام في الاسر ورغم انه تطوع خيارا لهذه المقابلة فهو لا زال في حالة تشوش وارتباك . جسميا هو معافى ، جيد التغذية ولكنه لا زال تحت وطأة الصدمة ، وها هو قد اخرج من وظيفته ، هذا الذي يحمل زيا عسكريا كممثل لاكبر قوة عسكرية في العالم يقدم الان صورة عن الاقتلاع التام من بيئته !

هو ... انه ممثل الولايات المتحدة الامريكية .

هو ... انه ممثل الثروة وقمة التكنولوجيا .

هو ... انه المكافح ضد الشيوعية ، والذي نربى على نمط انه لا يقهر يجلس الان هنا حائرا بلا عون بين هؤلاء الذين كان واجبه ان يبيدهم . هذا هو اختلاله وارتباكه : بلا موضعه بين قواته ، وبدون انتمائيته الى ماكينية عسكرية ، بلا هذا كله ... هو صفر ولا شيء ... ليس من داع للخوف رغم ذلك انه الرعب مكتوبا في وجهه . امامنا ـ نحن اول اوربيين يقابلهم ـ يجب ان يرينا نفسه « كانسان انطفا » وكان يوما ما فعالا كالة اوتوماتيكية وكمستقبل لاوامر لا انسانية كان ينفذها دون ان يكون شريكا فيها . لم يجعل من نفسه مرة واحدة سيدا على قراراته الخاصة . ارتعاشه الان هو ارتعاش فراغ ... ذلك الفراغ الذي لم يقدم هو فيه اي شيء سوى حركات ميكانيكية .

ـ اسمك ، عمرك ، ومكان الاقامة ؟

« نظرته تضطرب يجيب بتوتر وعصبية عسكرية » .

ـ سيدي : اسمي دافيد البورغ عمري ٣٦ عاما مكان الولادة والاقامة في ساندستون ـ مينسوتا .

ـ امتزوج انت ؟ وهل لك اطفال ؟

ـ سيدي : انني متزوج ولي ثلاثة اطفال .

ـ كم هي اعمارهم ؟

ـ طفلان ، عمر الاول سبع سنوات والثاني عشر سنوات وطفلة عمرها ثلاث سنوات .

ـ ما هي رتبتك العسكرية ، رقمك ، وحدتك ، وقاعدتك ؟

ـ سيدي : رتبتي مقدم ، رقمي ف ـ ٧٣٦٩٣ . تالتيال فايتر سكوادرون فرقة ٣٥٤ جناح ٣٥٥ ، وقاعدتي الاخيرة هي : تاك لي ـ تايلاند .

ـ ما هو اخر مكان غادرته في الولايات المتحدة ؟

ـ ماك راوليل ـ قاعدة طيران كانساس ـ .

ـ متى كان وصولك الى جنوب شرق آسيا ؟

ـ سيدي : كان ذلك في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٦٦ .

ـ ماذا كنت تعرف عن فيتنام عند اقلاعك ؟

ـ سيدي : لم اكن اعرف شيئا عن فيتنام .

ـ الم يعطوك معلومات عن البلد الذي هاجمته ؟

ـ لم يخبروني بشيء ولم اعرف شيئا يا سيدي ، اقلعت بناء على امر عسكري « يداه ترتجفان بشدة ونظرته تضطرب وتمر علينا بسرعة ».

ـ وماذا كان واجبك عندما حلقت بطائرتك فوق جمهورية فيتنام الديمقراطية لاخر مرة ؟

ـ سيدي كان واجبي يقتضي تدمير منطقة تاي نجوين في العاشر من اذار عام ١٩٦٧ .

ـ ما نوع الطائرة التي كنت تقودها ونوع اسلحتك ؟

ـ سيدي كنت اقود طائرة ف ١٠٥ وكنت احمل على متنها صاروخين من نوع شريك وقنابل ٢ ـ سي بي يو .

ـ هل كنت تعلم عن تاثير قنابل سي بي يو ؟

ـ سيدي : لم اكن اعرف تأثيرها من قبل .

ـ كيف كان رد الفعل في نفسك على الامر القاضي بتدمير فيتنام الشمالية ؟

ـ سيدي : كان ذاك واجبي .

ـ ماذا قيل لك عن الهدف الذي سترميه بالقنابل ؟

ـ سيدي : الاوامر قصيرة . الهدف كان نقطة على الخارطة . لم اكن اعرف ما هو الهدف .

ـ كيف افرغت حمولتك من القنابل ؟

ـ سيدي : ضغطت على الزر وتركت القنابل تهوي .

ـ صف لنا الهجوم ؟

ـ كانت الظهيرة . حاولت ان اتجنب نيران الدفاع الغزيرة المقاومة للطيران ولكنني اصبت ، فقدت السيطرة على الطائرة ، فتحت المقعد الرفاسي وهبطت بالمظلة .

ـ هل جرحت ؟

ـ جرحت في راسي .

ـ ماذا حصل لك عند هبوطك ؟

ـ احاط بي رجال الميليشيا . لم يكن من امكانية للهرب فاستسلمت .

ـ كيف عوملت ؟

ـ ضمدوا جرحي وقدموا لي ماء للشرب .

ـ هل توقعت معاملة كهذه ؟

ـ سيدي : لقد جئت كعدو فلم اتوقع معاملة حسنة .

ـ انك اسير هنا في فيتنام الديمقراطية منذ اكثر من عام . ماذا تفكر اليوم حول الحرب التي تقوم بها الولايات المتحدة ضد هذا البلد ؟

ـ سيدي : ان هذه الحرب ليست مربحة لنا نحن نخسر مالا ورجالا ومكانة .

ـ هل فكرت بالناحية الحقوقية لهذه الحرب ؟

ـ سيدي ! لا اعرف ما فيه الكفاية . يجب ان اعرف اكثر . لست متاكدا ، لا ، لا اعرف !

ـ هل وصلتك اخبار من ذويك ؟

ـ سيدي : لقد وصلتني رسائل من زوجتي .

ـ هل ترغب ان ترسل الى عائلتك خبرا ما عنك ؟

ـ سيدي : ان عائلتي تعرف انني على قيد الحياة واعامل معاملة حسنة . فقط اذا ما كان بوسعك ان تعلم زوجتي بانني حصلت على النقود التي ارسلتها لي .

* * *

تصرفه ومسكنته وبؤس لهجته ـ وحتى لو كان مرد هذا الى جو نفوره او تخوفه ـ ومذلة حالته الان ترينا انسانا لم يسأل مرة واحدة عن طريقة . وكما كان ينشر الموت والدمار من مكان الفراغ دون ان يجد في هذا اي جريمة ، بلا ارتباط بشيء ، بلا تفكير وبلا افكار كذلك يبدو وجود هذا الرجل . ان هزة العطف التي تتململ في نفوسنا تجاهه لا تجد مكانا يليق بها . اذ ليس من شيء فيه يدل على وجود امل طفيف لتكون شخصيته !!

ان هذا المجرم القاتل هو في الوقت نفسه عضو لا ملامة عليه في مجتمعه ، انه رب عائلة طيب يقضي يوم الاحد في حديقته ، وسيشتري سيارة عند عودته الى اهله . وايضا الحقد او الشتيمة لن تصيبه لانه لا يوجد في حياته اي حافز يدع مجالا لتكون ادنى فهم . هو ... هذه الشيفرة : المقدم دافيد البورغ .... سوف يقلع بطائرته مرة اخرى حاملا القنابل لرمي اهداف تحددها له العقول الالكترونية وسوف يرى في ذلك واجبه لانه جزء من نظام يرمي بالتساؤلات جانبا ، نظام لا يعرف افكارا . ملايين من امثاله هناك ، وعندما يريد تساؤل ما ان ينطلق في نفوسهم .. يقضون على هذا التساؤل وهو في الجنين ، بقواهم المتراصة الخارقة .

الجنود الذين ياخذونه الان والضباط الذين نجلس معهم لا يتذمرون منه .

وهم بعبارة هوتشي مينه التعليمية يستشهدون : « طيبون هم كل الناس في كل بلد ، ولكن المجتمع هو الذي يقودهم الى الخطايا » في هذه اللحظة التي فيها تزأر صفارات الانذار للتحذير من طائرة استكشاف معادية يبدو لنا واضحا هذا الكفاح الذي يدور هنا بثقله كله ويرينا هذا الكفاح نفسه ايضا في نتائجه التي تعم وتنتشر الى ابعد من فيتنام ، وعلى الارض كلها ...

بينما نحن نقول هذا نتصور بعض الامريكيين الشبان ، طلاب المقاومة الذين قابلناهم في هانوي ، لقد بكوا عندما تكلموا عن الجزاء الذي ينتظرهم عندما يعودون الى بلادهم .

المانيا الغربية — ترجمة عيسى علاونة

بيتر فايس : الكاتب المسرحي الالماني التقدمي وهو عضو محكمة راسل في السويد ، وصاحب مسرحية ـ حديث فيتنام ـ الوثائقية .

وهذا المقال من كتاب له وملاحظات حول الحياة الثقافية في فيتنام مع مقالات وكتب اخرى بعد زيارته الى فيتنام الديمقراطية .

« المترجم »

اجمل هدية

تقدمها لاصدقائك

الحرب العالمية الثانية

بجزئيه

تاليف ريمون كارتيه

منشورات

مكتبة انطوان

شارع الامير بشير

بيروت